

التعنصر والعنصرية السادية

حين تُتاجر النفوس بالإنسان

إذا ضاقَ قلبُ المرءِ ضاقتْ أرضُهُ

وأورثَ للأجيالِ جرحًا مُظلمًا

فلا المجدُ يُبنى بالتمييزِ بيننا

ولا العزُّ يأتي من يُفرِّقُ أممًا

تلاقوا على الإنسانِ قبلَ سواهُما

فخيرُ الحضاراتِ احتضانُ من انتمى

□

ن الأمم العظيمة لا تُقاس بما تمتلكه من ثروات، ولا بما تشيده من عمران، بل بما تغرسه في وجدان أبنائها من عدلٍ ورحمةٍ وإنصاف. وحين يسمو الإنسان على نوازع التعصب، يفتح لوطنه أبواب المستقبل، ويمنح الإنسانية فرصة جديدة للسلام.

إن التعنصر والعنصرية السادية ليستا مجرد مواقف عابرة،

بل سلوكٌ يهدم جسور الثقة، ويستنزف الطاقات، ويضعف الانتماء، ويحول الاختلاف الطبيعي بين البشر إلى أدوات للإقصاء والتمييز. وعندما يُستغل هذا السلوك لتحقيق مصالح أو مكاسب أو نفوذ، فإنه يتحول إلى صورة من صور الاتجار بكرامة الإنسان واستثمار الانقسام الاجتماعي، وهي ممارسة تضر بالمجتمع وتعيق ازدهاره.

ولذلك فإن المواجهة الحقيقية لا تبدأ بالعقوبات وحدها، بل تبدأ بإصلاح الفكر، وتهذيب الصмир، وتنقية الثقافة، وغرس قيم الاحترام المتبادل، حتى يصبح الإنسان هو القيمة العليا، لا أصله، ولا لونه، ولا قبيلته، ولا مذهبه، ولا مكانته الاجتماعية.

إن معالجة هذه الأزمة تحتاج إلى مشروع وطني وإنساني متكامل، يقوم على مراجعة الذات، وتصحيح المفاهيم، وتنظيف البيئة الفكرية والاجتماعية من كل ما يغذي الكراهية أو التمييز أو الاستعلاء، لتنشأ أجيال ترى في التنوع مصدرًا للقوة، وفي الاحترام المتبادل طريقًا للوحدة، وفي العدالة أساسًا للاستقرار.

ومن هنا فإن تصفير هذه الأزمة ليس مسؤولية جهة واحدة، بل هو رسالة تشترك في حملها المؤسسات والمجتمع؛

الرياضة التي توحد القلوب، والثقافة التي توسع المدارك، والتعليم الذي يصنع الوعي، والأندية والأنشطة الشبابية، والديوانيات، والمبادرات التطوعية، والإعلام المسؤول، وكل منصة تُعلي قيمة الإنسان وتبني جسور الثقة بين أبناء الوطن مع الأعتزاز المحدود ،،

وتبقى الصورة الأجمل لهذا المشروع الحضاري في حفلات الزواج، والمناسبات الاجتماعية، ومجالس العزاء، والملتقيات الوطنية، حيث تلتقي القلوب قبل الأيدي، وتلاشى الحواجز المصطنعة، ويترسخ الاندماج الوطني في أبهى صوره، ليكون المجتمع أسرة واحدة، يتشارك أفرادها الفرح، ويتقاسمون المسؤولية، ويقفون صفًا واحدًا في مواجهة كل ما يهدد وحدتهم.

إن المستقبل لا تصنعه الكراهية، ولا يبنيه التعصب، وإنما يصنعه الإنسان الذي يؤمن بأن كرامة الإنسان فوق كل اعتبار، وأن التنوع نعمة، وأن الوحدة هي أعظم استثمار للمستقبل، وأن الحضارات الخالدة لا تُورث أبنائها الانقسام، بل تُورثهم الأخلاق، والعدالة، والتسامح، والإنجاز.

فلنجعل من احترام الإنسان ميثاقًا، ومن الاندماج الوطني ثقافةً، ومن العدالة سلوكًا، ومن المحبة مشروعًا دائمًا؛ فالأوطان التي تتسع لجميع أبنائها هي الأوطان التي تكتب تاريخها بحروفٍ من نور، وتصنع مستقبلها بعقولٍ متحدة وقلوبٍ متآلفة.

